2013

التبادلات الصوتية

في سورة الفاتحة

(مفاهيم وتطبيقات)

الأستاذ المشارك الدكتور دوكوري ماسيري
الأستاذ المساعد الدكتور عبد الله أحمد عبد الله
عضوا هيئة التدريس في قسم اللغة العربية – كلية اللغات
جامعة المدينة العالمية–ماليزيا

مجلة (مجمع) العدد السابع 2013
مجلة علمية محكمة عالمية تصدر في كل أربعة أشهر من جامعة المدينة العالمية في ماليزيا
رقم الإيداع الدولي: **ISSN:973–2231**

التبادلات الصوتية

في سورة الفاتحة

(مفاهيم وتطبيقات)

الأستاذ المشارك الدكتور دوكوري ماسيري
الأستاذ المساعد الدكتور عبد الله أحمد عبد الله
عضوا هيئة التدريس في قسم اللغة العربية – كلية اللغات
جامعة المدينة العالمية–ماليزيا

مجلة (مجمع)
مجلة علمية محكمة عالمية تصدر في كل أربعة أشهر من جامعة المدينة العالمية في ماليزيا
رقم الإيداع الدولي: ISSN:973-2231

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

هذا البحث يُعنى بالتبادلات الصوتية العربية من خلال سورة الفاتحة، وهو محاولة لتبسيط علم الأصوات للقارئ العربي، بمنظار جديد من دون المساس بماهيته وخصائصها وهويتها.

ويرمي هذا البحث إلى تقريب مفهومَ الصوت إلى القارئ العربي؛ والمساهمة في القضاء على الصعوبات التي تظهر في قراءة بعض كتب علم اللغة الحديث؛ لكونها مترجمة من اللغات الغربية، والأمثلة فيها بعيدة عن حقائق اللغة العربية وطبيعتها، أو لكون المؤلِّفِ العربيّ في هذا الفن تناول هذا العلم في جوانب بعيدة عن التراث اللغوي العربي.

أولا: إشكالية البحث:

تكمن إشكالية هذا البحث في كشف علاقة الدراسات الصوتية بمصادر فصاحة العربية، وبالقرآن الكريم الذي يعّد المعطى الصادق، والبيئة المناسبة لتفسير الظواهر الصوتية بشكل واضح دقيق؛ فكان دافع اختيار موضوع "التبادلات الصوتية" من أجل إدراك كنه القراءات القرآنية، ومدى ترابطها بموضوعات علم الأصوات.

ثانيا: أهداف البحث:

1- بيان مدى ترابط القراءات القرآنية بموضوعات علم الأصوات.
2- بيان مدى ترابط التبادلات الصوتية بالجانب النطقي الشكلي.
3- بيان علاقة التبادلات الصوتية بنظام النطق عند القبائل العربية.

ثالثا: أسئلة البحث

بناء على الأهداف المرسومة فيما سلف، يهدف البحث الإجابة عن الأسئلة الآتية:

1- هل القراءات القرآنية بيئة مناسبة لفهم الظواهر الصوتية.
2- ما قيمة التبادلات الصوتية في القرآن الكريم في ميزان علم الأصوات.
3- ما علاقة التبادلات الصوتية بالقبائل العربية.

رابعا: أهمية البحث

تكمن أهمية هذا البحث في ارتباطه الوثيق بنص يُعدُّ من أكثرِ النصوصِ الفصيحةِ تداولاً وأسهلِها بيانا، وأشهرِها حُضورا في الذهن؛ ألا وهي سورةُ الفاتحة؛ فانطلق من بُعد عقدي للإنسان المسلم؛ ليوصله إلى بعد علمي يُسْهِمُ في تذليل صعوبة استيعاب الظواهر الصوتية العربية؛ فيكون هذا النص الفصيح السهل جِسْرًا إلى فهم أهم النظريات المتعلقة بالنماذج العربية.

خامسا: منهج البحث:

اقتضت طبيعة البحث الاعتمادَ على المنهج الوصفي التطبيقي، مدعمًا بالمنهج التاريخي في تتبع أهمّ الجهود العربية قديما وحديثا، فيأتي البحث ملبية لتوضيح مفهوم الصوت وخصائصه وأبعاده عند العرب، وتطبيق ذلك على سورة الفاتحة.

سادسا: هيكل البحث:

بناء على المنهج المتبع جاء البحث في ثلاثة أقسام: قسم يخص الجانب الوصفي، وقسم آخر يتناول الجانب التطبيقي على سورة الفاتحة، وقسم يُعنى بعرض نتائج البحث والتوصيات وذلك كلّه بعد مقدمة تناولتْ مضمونَ البحث، وإشكاليته، وأسئلته، وأهدافه، وأهميته، ومنهجه، وهيكله وتقسيماته، مما اقتضى أن يكون تقسيمات البحث على النحو التالي:

المقدّمة، واشتملت على:	5-4
أولا: إشكالية البحث	4
ثانيا: أهداف البحث	4
ثالثا: أسئلة البحث	4
رابعًا: أهمية البحث	5
خامسًا: منهج البحث	5
سادسا: هيكل البحث وتقسيماته	5
1- التبادلات الصوتية عند العرب:	18-7
1-1 حقيقة الأصوات عند العرب وأبعادها.	9-7
1-2 مفهوم التبادلات الصوتية عند العرب.	11-9
1-3 علاقته بقضايا القراءات القرآنية	12-11
1-4 صور التبادلات الصوتية	19-12
2- مظاهر التبادلات الصوتية في سورة الفاتحة:	23-19
2-1 التبادلات الصوتية بين الصوامت (الحروف)	21-19
2-2 التبادلات الصوتية بين الصوائت (الحركات)	22-21
2-3 التبادلات الصوتية بالإتباع في سورة الفاتحة	23-22
3- الخاتمة:	29-24
3-1 أهم النتائج.	24
3-2 التوصيات	22
3-3 فهرس المراجع والمصادر.	29-25

1- التبادلات الصوتية عند العرب:

1-1 حقيقة الأصوات عند العرب وأبعادها:

عندما نرجع إلى تاريخ الدراسات اللغوية عند العرب، نجد أن العرب في طرق بحثهم عن كنه الأصوات اللغوية لجأوا إلى تحليل جزئياتها، وأسباب حدوثها؛ فعرفوها بأنها: "***الاهتزاز الناتج عن ضرب أو اصطدام جسمين؛ كالتذبذب أو الاهتزاز الناتج عن ضرب اليدين، أو الناتج عن ضرب العصا على الحجر***"(1)؛ يقول ابن سينا (ت: 428هـ) في بيان ماهية الصوت؛ بأنه "***تَمَوُّجُ الهواء دُفْعَةً بسرعة وقوة من أيِّ سبب كان***"(2).

وقد جاءت التعريفات المعاصرة(3) موافقةً لهذا المفهوم العام للأصوات اللغوية عند العرب، وكمَّلته ببيان العناصر التي تتكون منها مفهوم الصوت؛ والتي تمثلت في "**المصدر** " الذي أطلق عليه العرب "جهاز النطق" أو "أعضاء الكلام"، **و"المحيط"** وهي الوسائط والمساحات التي من خلالها تنتقل الذبذبات الصوتية المسموعة، و"**الدماغ**" (Brain)، وهو مقر الذبذبات المنتقلة من الأذن عبر التشابك العصبي(4).

---

(1) الراغب الأصفهاني، أبي القاسم الحسين بن محمّد، **المفردات في غريب القرآن**، تح: محمد سيد الكيلاني (**دت**)، ص288، وينظر: الخليل، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، **العين**، تح: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، ط دار الهلال، بغداد): 146/7، وابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري، **اللسان** (دار صادر، بيروت، ط1)، د. إبراهيم كايد محمود، **صوت الهاء في العربية** (مجلة جامعة أم القرى) العدد 24.

(2) ابن سينا، أبي علي الحسين بن عبد الله، **رسالة أسباب حدوث الحروف**، تح: محمد حسان الطيان، ويحيى مير علم، (مطبوعات مجمع اللغة بدمشق) ص56.

(3) ينظر:

An introduction to phonetics and phonology, P205, Blackwell Publishing 2007.

وينظر د. إبراهيم كايد محمود، **صوت الهاء في العربية** (مجلة جامعة أم القرى) العدد 24.

(4) ينظر: Ladefoged، Peter Elements of Acoustic Phonetics p3، London، 1966، ود. أحمد مختار عمر **دراسات الصوت اللغوي**: (ص طبعة عالم الكتب عام 1418_1997 القاهرة)، د. إبراهيم أنيس **الأصوات اللغوية** (مكتبة النهضة، مصر، دت) ص5-11، ود. خليل العطية، **في البحث الصوتي عند العرب**: (دار الجاحظ، بغداد، ط1983م) ص6-11، ود. محمّد حسين علي الصّغير، **الصّوت اللغويّ في القرآن** (دار المؤرخ العربي، بيروت، من دت) : ص14.

والجدير بالذكر في هذا السياق أن الدراسات الصوتية العربية تمحورت في الجانب اللغوي الذي تمثل – في تحليل الأصوات اللغوية المسموعة– عند العرب في الوصف الظاهري للصوت اللغوي؛ من حيث تحليل مخارجه، وأنواعه وصفاته، ونبراته، وتطوراته (1)؛ على عكس البعد الفيزيائي الذي يُعنى بقياس سرعة الذبذبات وساحتها(2) فليس له وجود في أبعاد علم الصوت العربي؛ لعدم تمكن وسائل البحث المتوافرة لديهم يومئذ من كشف هذه التذبذبات، ولكنهم مع ذلك وصفوا الأصوات في بعدها اللغوي وَصْفا يُقارب ما توصلت إليه تقنيةُ البحوث المعاصرة. وأما البعد الغنائي فقد كان حاضرا في ذهنهم ؛ فأطلقوا كلمة "**الأصوات**" على الآلاتِ الغنائية الداعمة لأصوات(3)، **و**ظهر ذلك جليا أثناء تحليلهم لمعالم نغمات الصوت المسموع؛ وهو "**البعد الغنائي**" الذي يتجلى في نغمات وأداء معين للأصوات، يكون نظام تردد ذبذباتها وسعته على نمط معين، يوحي بمعانٍ لا توجد في التفسير الفيزيائي أو اللغوي للصوت، وتكون داعمة أحيانا بآلات الغناء والطرب؛ كما فهمنا ذلك عند الأصفهاني الذي استخدم الصوت مرادفا للغناء في أكثر من أربعمائة مرة؛ واستخدم كذلك في تبويبه؛ فقال: (ذكر المائة الصوت المختارة)(4). وقد ظهر اهتمام العرب بهذا البعد خاصّة في تحليلاتهم اللغوية للأشعار، وعند طرقهم لأثر النغمات الغنائية في رسم معالم نغمة الخطاب الشّعري، وتحديد مساراته، وما يطرأ عليه من المعاني الأساسية؛ كالحزن والفرح والزجر والحب

---

(1) ولعل القارئ سيدرك صحة هذا الكلام عند الرجوع إلى المؤلفات الصوتية عند العرب؛ ككتاب سر صناعة الإعراب، والخصائص، وكذلك الكتب اللغوية المعاصرة في مجال الأصوات.

(2) البعد الفيزيائي هو ذلك البعد الذي يُعنى بعملية الحدوث الصوتي فيزيائياً، وقياس سرعة ذبذباته وساحتها؛ وقد أُطلق على العلم الذي يهتم بهذه الزاوية في التحليل الصوتي بـ" علم الأصوات الأُكْستيكي" أو علم الأصوات الفيزيائي" (Physical Phonology) أو (Caustic Phonology) . ينظر: كمال بشر، **علم الأصوات** (دار غريب، القاهرة، ط2000م) ص: ص42-50، ود. أحمد مختار عمر، **دراسة الصوت اللغوي**، ص19.

(3) ينظر: أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، ج 1، ص8 وما بعدها. ود. محمد حسين الصغير، **الصّوت اللغويّ في القرآن**، ص14.

(4) ينظر: أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، تح: سمير جابر، (دار الفكر، بيروت، ط3 دت): ج1، ص8، وأمثلة أخرى في الصفحات التالية على سبيل المثال لا الحصر: 32/1، 45، 50، 51، 58. 59،

والمدح(1)؛ وهذا ما أكّدته النظريات الصوتية المعاصرة في علم اللغة على لسان "جاكبسون"؛ حين قال: "**النسيج الصوتي لبيت ما ولمقطع شعري و لقصيدة ما يلعب دور تيار خفي للدلالة**"(2).

1-2 مفهوم التبادلات الصوتية عند العرب:

يقصد بظاهرة التبادل الصوتي: تعدد طريقة النطق أو التلفظ بكلمة معينة، وقد عرفه ابن فارس بأنّه: "إبدال الحرف وإقامة بعضها مقام بعض"(3). وهي من الظواهر اللغوية المتعلقة بعلم الأصوات التاريخي، سببها الاختلاف بين اللهجات في الأداء النطقي؛ ومن هنا عرف بعض العلماء اللهجات بأنها: "قيود صوتية خاصة تُلحظ عند أداء الألفاظ في بيئة معينة"(4).

فالاختلاف في نطق بعض حروف الكلمة بين بعض القبائل العربية يكون لعدة أسباب منها اختلاف البيئة الجغرافية بين تلك القبائل؛ بحيث يكون لكل بيئة طريقتها الخاصة في نطق الأصوات(5).

والجدير بالإشارة هنا أنّ مفهوم التبادلات الصوتية عند العرب كان منحصرًا على البعد اللغوي للطبيعة الصوت الإنساني الذي يحتوي على عنصري اللفظ والمعنى، وإن اختلفوا في المناسبة بين هذين العنصرين، وقيمة كل عنصر في سلسلة الكلام(6).

---

(1) وبناء على هذا البعد عرّف ابن رشيق الشعر بأنه "يقوم –من بعد النية– على أربعة أشياء: وهي اللفظ والمعنى، والوزن والقافية؛ فهذا حد الشعر... ابن الرشيق، أبو الحسن القيرواني، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، (دار الجيل، بيروت، ط5، 1401هـ-1981م) ج 1، ص 245.

(2) ينظر: رومان جاكبسون، **قضايا الشعرية** ترجمة: محمد الولي ومبارك حنون، (دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 1988) ، ص 54.

(3) ابن فارس، أبي الحسين أحمد بن فارس، **الصاحبي في فقه اللغة**، تح: أحمد حسن بسج، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ 1997م) ص154، والسيوطي، السيوطي، جلال الدين، تح: محمد أحمد جاد المولى بك، والآخرون (دار التراث، القاهرة، ط3، دت)، 640/1

(4) د. إبراهيم محمد نجا **اللهجات العربية** (مطبعة السعادة ط1 1396هـ 1976م) ص: 7.

(5) المرجع نفسه، ص14، 22-18.

(6) ينظر: ابن جني، **الخصائص**، تح: د. عبدا لحميد هنداوي، (دار الكتب العلية بيروت لبنان 1421هـ ربيع الأول) : 168-152/2، والسيوطي، جلال الدين، و د. إبراهيم أنيس، **من أسرار اللغة**، (مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط6، 1978م) ، ص142، ود. صبحي صالح، ، دراسات في فقه اللغة (دار العلم للملايين، بيروت، ط16، 2004) ، ص141-152، ومصطفى الحركات، **اللسانيات وقضايا العربية**، (المكتبة العصرية، صيدا – بيروت الطبعة الأولى 1418هـ/1998م) ، ص12-11.

وهذه الخاصية المزدوجة في طبيعة الصوت الإنساني هي ما أطلق عليها العالمُ اللغوي الفرنسي "أندري مارتينيه" بـ (La double articulation) ؛ أي "**التقطيع المزدوج**" أو "**التمفصل المزدوج**" وهذه الميزة تعني: أن اللغة تتركَّب من مستويين (مستوى **فونيم** ومستوى **مونيم**). فالمونيم هو أصغر وحدة دلالية، والفونيم هو الصوتيات الصغيرة الخالية من المعنى، وكذلك المونيم هو مركب من صوتيات ليصير أصغر وحدة دلالية في مجموع الكلام(1)، والأصوات الصادرة من غير الإنسان لا تحتوي إلا على المستوى الأول. ولعل ابن جني سبق أندري مارتينيه إلى هذا الميزة حين فرق بين الصوت والحرف منعاً لكل التباس، وربط الحرف بالمقطع الصوتي(2)؛ فكانت هذه الثنائية اللغوية (اللفظ والمعنى) أو (الدال والمدلول) من أبرز المباحث اللغوية والنقدية التي تنازعتها العرب ومن أشهر المصطلحات التي تطرقوا إليها؛ لكونهما حاملين خصائص اللغة البشرية(3).

وهذا يعني ثبات المفهوم نفسه عند الغربيين إلا أنهم أجمعوا –على العكس العرب– على عدم التناسب بين عنصري اللفظ والمعنى؛ لأنّه يلزم من ذلك اتفاق اللغات العالم جميعها في أسماء الحيوانات لأنّ ذاتها

---

(1) ينظر:
Martinet. A, **Elements de linguistiquegénérale**, Armand colin, 4em éditons, Masson, paris, france, 199 p13,
ومصطفى حركات، **الصوتيات والفونولوجيا**، (المكتبة العصرية، القاهرة, ط1، 1998م)، ص10، محمد الحناش، **البنيوية في اللسانيات**، (دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط1، 1980م)، ص275.

(2) ينظر: ابن جني أبو الفتح عثمان، **سر صناعة الإعراب**، تح د. حسن هنداوي (دار القلم، دمشق، ط1، 1405هـ -1985م)، 28/1، وينظر: ابن جني، **الخصائص**، 499/1، 227/2-233، 315-321، وفي التفريق بين الصوت والحرف ينظر: في: ابن سينا، **رسالة أسباب حدوث الحروف** ص11،

(3) ينظر على سبيل المثال لا الحصر: حديث ابن جني عن العلاقة بين الدال والمدلول في الخصائص في الأبواب التالية: (باب في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني) : 145/1-142، و (باب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني) : 1/ 152-168، و (باب في الرد على من= =ادعى على العرب عنايتها بالألفاظ وإغفالها المعاني) : 215/1-237، و (باب في قوة اللفظ لقوة المعنى) : 264/3-269، وينظر: طارق النعمان، **اللفظ والمعنى بين الإيديولوجيا والتأسيس المعرفي للعلم** (سينا للنشر، الطبعة الأولى. 1994م، ص: 7) ، ود. بودراع عبد الرحمان، **مصطلح اللفظ والمعنى ومستويات التحليل اللغوي عند عبد القاهر**، (مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، عدد 4: 335) .

متّحدة؛ ومن هنا قرّر مؤسسُ علم اللغة الحديث فرديناند دي سوسير ((Ferdinand de Saussure): بـ"أن العلاقة بين اللفظ والمعنى اعتباطية"(1).

فكانت التبادلات الصوتية عند العرب ناشئة عن عدة أسباب أشار إليها العلماء؛ من أهمها:

1- اختلاف في الحالةِ التي تكون عليها أعضاء النطق مع بعض الأصوات، مما يترتب عليه الاختلاف في نطق الحرف ذاته؛ فمثلا نرى بعض القبائل ترقق الحرف، في الوقت الذي يكون فيه مفخما عند قبيلة أخرى.

2- تباين في النغمة الموسيقية للكلام.

3- اختلاف في قوانين التفاعل بين الأصوات المتجاورة حين تتأثر ببعضها؛ ولذا نرى جمهرة من العرب تقلب الواو تاء إذا وقعت فاء لـ"افتعل"؛ كـ"اتّصل" و"اتقى"، حتى لا تكون عرضة لقلبها إلى صورة أخرى نتيجة تعرضها للحركات المختلفة، بينما لا يعبأ الحجازيون بهذا التلاعب، ولذلك يتركون الواو متأثرة بالحركة السابقة عليها، فتقلب إلى حروف مجانسة لتلك الحركات(2).

1-3 علاقة التبادلات الصوتية بقضايا القراءات القرآنية:

ثبت في المبحث السابق أنّ التبادلات الصوتية منشأها تعددّ اللهجات العربية في طريقة كلامها، فهي ترسِّخُ مبدأَ التوسّع والتسهيل النطقي الذي تحقق كذلك في القراءات القرآنية؛ فهي جاءت من أجل تمكين كلِّ قبيلة عربية -على اختلافها- من نطق الكلمات على سجيتها من دون تكليف(3)؛ ولهذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "أنزل القرآن على سبعة أحرف"(4)، ويقصد به سبع لغات أو لهجات. وكانت سورة

---

(1) صرّح فرديناند دي دي سوسير، في كتابه دروس في اللسنة العامّة ص100، [Cours de linguistique générale (F. de Saussure) p100] بأن العلاقة بين اللفظ والمعنى اعتباطية؛ وذلك حين قال: "" Le lien unissant le signifiant au signifié est arbitraire "

(2) د. إبراهيم محمد نجا اللهجات العربية (مطبعة السعادة ط1 1396هـ 1976م) ص ص9-10.

(3) ينظر: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد (دار الكتب العلمية - لبنان – ط1، 1413هـ. 1993م) ، ص46-47.

(4) الإمام أحمد بن حنبل، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تح: شعيب أرنؤوط وآخرون (مؤسسة الرسالة، ط1، 1416هـ-1996م)، 298/1).

الفاتحة نموذجا حيًّا، ومجالا فسيحا لتصوير تلك التبادلات الصوتية؛ الناشئة للتوسع والتسهيل حيث نجد فيها العديد من الصور الصوتية التي وقع فيها تعدد لهجات العرب؛ ولعل أهم تلك الصور ما يأتي:

4-1 صور التبادلات الصوتية:

للتبادلات الصوتية في اللغة العربية صورتان أساسيان وصورة أخرى تابعة للصورة الثانية:

الصورة الأولى: التبادلات الصوتية بين الصوامت (الحروف):

يقصد بالصوامت أو الحروف: ما لا يمكن التلفظ به إلا بإضافة حرف صائت (**حركة**)؛ ولهذا سميت بالصوامت، على عكس الحركات (**الصوائت**)، ويطلق عليه في علم اللغة الحديث (**Vowel**).

وقد أشار ابن جني في كتابه الخصائص إلى اختلاف اللغويين في محل الحركات من الحروف أم معها أم قبلها أم بعدها؛ فرجّح مذهب سيبويه الذي يرى أنّ الحركة تحدث بعد الحرف، ثمّ أشار إلى رأي أبي علي الفارسي في منشأ هذا الخلاف الذي هو "لطف الأمر وغموض الحال"(1). لكن يبدو لي -والله أعلم- أن منشأ هذا الخلاف راجع إلى طبيعة الكتابة العربية التي لم تعط للحركة قيمة في الشكل، على عكس الكتابة اللاتينية التي تجعل الحركة بعد الحرف، وبالتالي لم يقع خلاف بينهم في موقعها في النطق.

والتبادلات الصوتية في الصوائت نوعان:

1- **الإبدال الصرفي**؛ وهي التبادلات الصوتية في الصوامت، تقع لضرورة لفظية تؤدي إلى تسهيل النطق أو لمجاراة الصيغة الشائعة؛ كتبادلات الصوتية لتاء الافتعال ومشتقاته إلى (الطاء) أو (الدال)(2)، وهذا ليس مجال هذا البحث.
2- **الإبدال اللغوي**؛ وهو الإبدال الواقع في الصوامت لغير ضرورة صوتية؛ عكس الأول؛ وقد سماه الثعالبي في كتابه (فقه اللغة وسر العربية) ب"العوارض التي تعرض لألسنة العرب"؛ **كالكشكشة** (إبدال كاف خطاب المؤنث شينا)، **والكسكسة** (الحاق السين للكاف)،

---

(1) ابن جني، الخصائص: 2/321-327

(2) ينظر باب الإعلال والإبدال في كتب التصريف؛ على سبيل المثال: المرادي، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ، **توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك**، تح: عبد الرحمن علي سليمان، (دار الفكر العربي، ط1، 1428هـ - 2008م)، 3/ 1621-1622

و**العنعنة** (إبدال الهمزة عينًا)، و**الطمطمانية** (إبدال اللام في أداة التعريف ميمًا)(1). ومن أمثلة التبادلات الصوتية والتي لم يشر إليها الثعالبي في هذا الباب: **العجعجة**؛ (إبدال الجيم ياءً مخففةً ومشددةً)، **والفحفحة** (إبدال العين عينا)، وإبدال "**القاف**" "**كافا**"؛ نحو قولهم: "عربي كحّ" أي: (قحّ)، وإبدال "**الكاف**" "**تاءً**"؛ كقول الراجز: "يا ابن الزبير طالما عَصَيْكَا"؛ أي: عصيت. أنشده أبو علي(2).

الصورة الثانية: التبادلات الصوتية بين الصوائت (الحركات):

الحركات: هي ما تستخدم للتوصل به إلى نطق الحروف الصوامت، ولهذا سميت بالصوائت؛ لأنه بواسطتها نستطيع التصوّت بالصوامت وهي نوعان: **حركات قصيرة**: وهي الفتحة والكسرة والضمة؛ مثال: (ــَــــِــــُـ)، و**حركات طويلة**: وهي حروف اللين وتسمى "حروف المد" عند القدامى؛ وهي: حرف العلة الساكنة، التي تجانسه الحركة السابقة عليه، فالفتح قبل الألف، والضم قبل الواو، والكسر قبل الياء(3). ولا فرق بين النوعين صوتيا إلا في مقياس النطق (مدة النطق)؛ فالألف فتحة طويلة والياء كسرة طويلة والواو ضمة طويلة.

الصورة الثالثة: التبادلات الصوتية بالاتباع

الإتباع: في اللغة هو اللحاق بالأول(4). وعرفه ابن فارس بأنه: "أن تتبع الكلمةَ الكلمة على وزنها أو رويّها، إشباعًا وتأكيدًا"(5) وهو ظاهرة لغوية على مستوى الأصوات، تَنْشَأُ من تأثر الصوائت الملتصقة، أو المتجاورة بعضها ببعض؛ ممَّا يُؤدِّي إلى الانْسِجَامِ التام والمماثلة التامة أيضا بينهما.

---

(1) الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل ، **فقه اللغة وأسرار العربية**، تح: ياسين الأيوبي (المكتبة العصرية، ط2، 1420هـ-2000م) ، ص151-152، وينظر: السيوطي، جلال الدين، تح: محمد أحمد جاد المولى بك، والآخرون (دار التراث، القاهرة، ط3، دت)، 1/160-175،221-222، والمرادي، **توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك**، 3/ 1625-1627.

(2) ينظر: السيوطي، 1/160-175،222-223، والمرادي، **توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك**، 3/ 1625-1627.

(3) ينظر د. إبراهيم محمد نجا، اللهجات العربية، ص9.

(4) المناوي، محمد عبد الرؤوف **التوقيف على مهمات التعاريف**، تح: د. محمد رضوان الداية (دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1410)، ص31.

(5) ابن فارس، **الصاحبي في فقه اللغة**، ص209، وابن فارس، **الإتباع والمزاوجة**: ص30 والسيوطي: المزهر في علوم اللغة، 1/ 414،

ولمصطلح "**الاتباع**" مرادفات استعملها اللغويون منها: "**المزاوجة**"(1)، و"**المضارعة**"(2)، و"**الوهم**"(3)، و"**التماثل الصوتي**" عند بعض المعاصرين مقابل المصطلح الإنجليزي (Similarity in Sound) في تعريف دكتور بولنجير (Bolinger)(4). لكن كلمة "**الاتباع**" أشهرها(5).

والجدير بالذكر هنا أن هذه النوع كذلك جيء به تسهيلُ عملية النطق الناشئ من مماثلة حرفين أحدهما للآخر بسبب الجوار(6)؛ فجاء في القواعد النحوية الكبرة بأنّه (يُعْطى الشيءُ حكمَ ما جاوره)؛ وعليه عُرِّف الجوار بالإتباع على أنه: "التناسب بين لفظين متجاورين في الكلام، بإتباع الأول الثاني أو الثاني للأوّل؛ فيُعطى حكم أحدهما للآخر؛ من أجل أن يجريَ الكلام على وجه واحد"(7).

وهذا يعني أن الإتباع ظاهرةٌ صوتية فحسب؛ فهي ليست إعرابية ولا صرفية بل ، خاليةٌ من المعاني النحوية أو الدلالية(8)، وهذ ما يؤكّده ع اللغة الحديث؛ يقول دانيال جونز (Daniel Jones) عن المماثلة بأنها: "عملية إحلال صوت محل صوت آخر تحت تأثير صوت ثالث قريب منه في الكلمة أو الجملة، ويمكنها أن تتسع لتشمل تفاعل صوتين متواليين ينتج عنهما صوت واحد مختلف عنهما"(9). وجاء في تعريف بروسنهان Brosnahan بأنها: "التعديلات التكيفية للصوت حين مجاورته للأصوات الأخرى"(10).

---

(1) ينظر: ابن فارس، أبو الحسن أحمد ابن فارس، **الإتباع والمزاوجة** تح: كمال مصطفى (مكتبة الخانجي، مصر، دت): ص28.

(2) ينظر: سيبويه، الكتاب: 477/4.

(3) ينظر: السيوطي، **المزهر**: 223/1.

(4) د. أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص205، ود. رمضان عبد التواب، **التطور اللغوي: مظاهره وعلله وقوانينه**، (مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، 1997م) ص22-23.

(5) سيبويه، الكتاب: 196/4، وابن جني، الخصائص: 179/3، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، **الاتباع**، (تح: كمال مصطفى الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، دت): ص88.

(6) ينظر: ابن فارس، **الإتباع والمزاوجة**: ص30، وابن فارس، **الصاحبي في فقه اللغة**، ص209، والسيوطي، **المزهر**، 414/1.

(7) ينظر: ابن جني، الخصائص: 111/1-113، 412/2، ود. دوكوري ماسيري، **قواعد النحو الكلية دراسة وصفية تحليلية في وضوء علم اللغة الحديث** (مخطوطة رسالة علمية، مكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 2008)، ص194، 201.

(8) ينظر: الشُّمني، تقي الدين أحمد بن محمد، **المنصف من الكلام على مغني اللبيب** (المطبعة البهية، مصر، دت): 277/2، ود. إبراهيم أنيس، **الأصوات اللغوية**، ص207.

.(9) Daniel Jones, **An outline of English phonetics**, p217, W Heffer Sons LTD Cambridge England 9Th 1972

(10) د. عبد القادر عبد الجليل، **الأصوات اللغوية**، (دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان الأردن ط1 1418هـ. 1998م)، ص 283.

و قد حاول بعض الأوائل من اللغويين إيجاد بعضًا من المعاني النحوية لهذه الظاهرة؛ وأشاروا في ذلك إلى معنى التوكيد(1)؛ قال ابن فارس في فقه اللغة: "للعرب الإتباع، وهو أن تَتبع الكلمةُ الكلمةَ على وزنها، أو رويها إشباعاً وتوكيداً". ومال إلى ذلك السيوطي في أثناء تعليقه على أمثلة الإتباع عند ابن دريد في الجمهرة؛ فقال: "لما يجيئون في أكثر كلامهم بالتكرار، ويدل على ذلك أنه إنما كرر في أجمع وأكتع العين ، وهنا كررت العين اللام ، نحو : حسن بسن ، وشيطان ليطان. وقال قوم: هذه الألفاظ تسمى تأكيدا وإتباعاً"(2)، لكن الصحيح أنّ "التأكيد" غير "الإتباع"؛ لأنه قد يوجد من الإتباع ما لم يصح فيه دخول (واو العطف)؛ نحو قولهم: "حَسَنٌ بَسَنٌ"، ولأنّ الإتباع يكون في الكلمة التي يختص بها معنى ينفرد بها من غير حاجة إلى متبوع(3).

والملاحظ في الدراسات اللغوية العربية أنّ المباحث التي طرقها الباحثون تؤكد بعض النتائج العلمية المهمة في مجال علم الأصوات؛ من أهمها:

1- أصالة ظاهرة الإتباع في العربية، وشيوعها في ألفاظ العرب وأساليبهم ومعانيهم وأفكارهم؛ فقد حكى الأصمعي (ت216هـ) عن المعْتَمر بن سليمان أنه قال: "لَقِيَني أعرابيٌّ ومعه عنب، فقلت له: ما معك؟ فقال: خمرٌ. وهذا -هكذا مجازه عند أهل العربية- أنّ العرب قد تُسَمِّي الشيءَ باسْمِ الشيءِ إذا جاوره، أو ناسبه، أو اتصل به، أو آلت إليه عاقبته..."(4). ومنه قول الأعرابي: "قَدْ يُؤْخَذُ الجَارُ بِجُرْمِ الجَارِ"(5)

وهذا يدل على أن وصف الظواهر الصوتية يجب أن يستند إلى النصوص اللغوية المسموعة مباشرة عن أصحاب اللغة الأصليين.

---

(1) ابن فارس، أبي الحسين أحمد بن فارس، **الصاحبي في فقه اللغة**، تح: أحمد حسن بسج، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ 1997م) ص209، وينظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، **الاتباع**، (مكتبة الخانجي، القاهرة) للسيوطي ص88.

(2) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، **الإتباع**: تح: كمال مصطفى، (مكتبة الخانجي، دت)، ص93.

(3) المصدر السابق نفسه.

(4) الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق (**اللامات**)، تح: د. مازن المبارك، (دار الفكر، دمشق، ط2، 1405هـ-1985م): ص119-120.

(5) البيت أورده ابن جني في الخصائص: 2/171، وابن هشام في المغني: 2/791، وورد في اللسان والتاج: (ح/ت/ر) .

2- وضع بعض قواعد التحويل الصوتي، مما يدل على أن جريم وأصحاب "مدرسة النحويين الجدد" لم يكن لهم السبق في محاولة الوصول إلى قوانين تفي التطوير الصوتي؛ بل أشار بعض اللغويين العرب إلى وجود بعض أنظمة وقوانين تؤدي إلى التبادل والتحويل الصوتي ؛ يقول ابن السراج: "وقال قوم من النحويين: كلُّ ما كان في أخره ضَمٌّ أو فتح أو كسر ليس يفرق بين شيء وبين شيء جاز فيه الإتباع، والفتح، وغير الإتباع)؛ مثل: (قطام) تقول: (واقطاميهْ) و(يا قطاماه) ويقولون: (يا رجلانية ويا رجلاناه)، و(يا مسلموناه)، ويقولون: (يا غلام الرجلية والرجلاه). فإذا كانت الحركة فرقاً بين شيئين مثل : (قمتُ) و(قمتَ) فالإتباع لا غير نحو: (واقياما قمتوه وقمتاه وقمتيه)"(1). يقول ابن الأنباري ردّا علة مذهب الكوفيين في همزة الوصل" لأن الإتباع لما كان في الكلمة الواحدة قليلا ضعيفا كان مع الكلمتين ممتنعا البتة؛ لأن المنفصل لا يلزم لزوم المتصل؛ فإذا كان في المتصل ضعيفا امتنع في المنفصل البتة؛ لأنه ليس بعد الضعف إلا امتناع الجواز؛ لأن حركة الإعراب لا تلزم، فلا يكون لأجلها (إتباع) وإذا كان (الإتباع) في كلامهم بهذه المثابة دل على أنه ليس الأصل في حركة همزة الوصل أن تتبع حركة العين"(2).

والاتباع ثلاثة.

1- **إتباع حركة لحركة**؛ وذلك:

أ- قياسي في (فِعْلَة) إذا كانت مكسورة الفاء؛ مثل: (سِدْرَة)؛ فيجوز فيها الكسر إتباعا للفاء؛ فتقول: (سِدِرَة) (3).

ب- ويكثر إتباع فاءُ العينَ في الثلاثيّ الحلقي العين؛ نحو: (لِعِبٌ) في (لَعِب)، و (شِهِدٌ) في (شَهِدٌ) (4).

---

(1) ابن السراج، **الأصول**: ج 357/1.

(2) أبو البركات عبد الرحمن ابن محمد الأنباري، **الإنصاف في مسائل الخلاف**، المسالة [110]، ص596.

(3) ابن السراج، **الأصول**: 189/2.

(4) ابن السراج، **الأصول**: 2/ 384.

ج- ويكون في نقل حركة الإعراب إلى ما قبلها(1)؛ كما في قراءة بعضهم لقوله تعالى: {قُمُ الليلَ} بضم الميم إتباعا لضمة القاف (2)، ومنه قولهم: "هو رِجْسٌ نِجْسٌ" والأصل فتح النون وكسر الجيم(3).

د- ومن أمثلة إتباع الحركة عند العرب: كلمة (نِعِمَ) بكسر حرف العين إتباعا للنون(4).

2- **في الحروف**؛ ومن أمثلة ذلك:

أ- كقوله (صلى الله عليه وسلم) للنساء -حين رجعن من الجنازة- فيما رواه ابن ماجه وغيره «فَارْجِعْنَ مَأْزُورَاتٍ غَيْرَ مَأْجُورَاتٍ»(5)، والقياس (مَوْزُورَاتٍ) بالواو، لكن قيل بالهمزة لإتباع الأول الثاني (مأجورات)(6).

ب- ومنه قولهم: "حِيرٍ عِينٍ"، وذلك بقلب واو (حور) ياءً لإتباع الثاني. ومنه قولهم: "هنأني ومرأني" والأصل أمرأني، لكن حذفت الهمزة لإتباع الأوّل(7)،

3- **اتباع كلمة لكلمة**؛ وقد سمع ذلك كثيرا عن العرب؛ ومن أمثلة ذلك :

أ- قول النبي (صلى الله عليه وسلم) فيما رواه الحاكم وغيره: « اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظْلَلْنَ، وَرَبَّ الأَرَضِينَ السَّبْعِ وَمَا أَقْلَلْنَ، وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضْلَلْنَ، وَرَبَّ الرِّيَاحِ وَمَا ذَرَيْنَ»(8) وكان القياس "أضلوا" فأتى بضمير المؤنث؛ لمناسبته "أظللن" و"أقللن"(9).

---

(1) وسيأتي الحديث عنه في المبحث الثالث: من هذا الفصل.

(2) تفسير القرطبي: 34/19.

(3) ابن هشام، جمال الدين أبو محمد عبدالله بن يوسف بن هشام الأنصاري ، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، تح: د.مازن المبارك ومحمد علي حمد الله (دار الفكر ، بيروت، ط6 ، 1985): 896/2.

(4) ابن السراج، **الأصول**، ج 182/1-183.

(5) سنن ابن ماجه (حديث رقم/1645) : 131/5/، ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تح: طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي، (المكتبة العلمية، بيروت، ط1399هـ - 1979م): 179/5.

(6) ينظر: المنصف: 326/2، والنحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل، **إعراب القرآن**، تح: زهير غازي زاهد (عالم الكتب، بيروت، ط3، 1409هـ- 1988): ج 137/4، 252/5، وابن هشام، **مغني اللبيب**: 2/ 897.

(7) ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب: 896/2.

(8) أخرجه النسائي في سننه في باب (الدعاء عند رؤية القرية التي يريد دخولها) حديث رقم (8826) ج 252/5، والبيهقي في السنن الكبرى في (باب ما يقول إذا رأى قرية يريد دخولها) حديث رقم (10100) : 252/5.

(9)السيوطي، **الهمع** (دار الكتب العلمية ط1، 1998) ج 290/3.

ب- ومنه وقوله (صلى الله عليه وسلم) -في حديث المواقيت-: «هُنَّ لَهُنَّ وَلِمَنْ أَتَى عَلَيْهِنَّ»(1)، والقياس (لهم) بعوده على أهل المدينة ومن ذكر معهم.

ج- ومنه قوله (صلى الله عليه وسلم): «أنفق بلالا ولا تخش من ذي العرش إقلالا» نَوَّنَ (بلال) ونصبه مع كونه علم منادى؛ وذلك لاتباع كلمة (إقلالا)(2).

د- ومنه قوله (صلى الله عليه وسلم) -في حسن وحسين- : "أُعِيذُكُمَا بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لاَمَّةٍ"(3)، قال (لامة) للإتباع (هامة)، والأصل (ملمة)(4).

هـ- ومنه قول العرب: "مرحباً بالقومِ غيرَ خَزايا ولا نَدامَى"؛ أي: (نادمين)، لكن قال (ندامى) وهو جمع نديم أي الشريك من باب الإتباع لـ (خزايا)(5). ومنه قول الشاعر:

يَا صَاحِ بَلِّغْ ذَوِي الزَّوْجَاتِ كُلِّهِمُ   أَنْ لَيْسَ وَصْلٌ إِذَا انْحَلَّتْ عُرَى الذَّنَبِ(6)

و- وقد جمع ابن مرزبان (ت330هـ) في كتابه (الألفاظ) نماذج فصيحة من إتباع الكلمة الكلمة؛ منها: (قبيح شقيح)، (كثير نبير)، (قليل أليل)، (ضائق ذائق)، (ضيق ليق)، (شديد أديد)، (حقير نقير)، (فقير وقير)، (حصي قصي)، (جائع تابع)، (خبيث نبيث)، (ثقة تقه)، (قليل قتير)، (وحش فحش)، (شيطان ليطان)، (عطشان نطشان)...(7).

---

(1) الحديث مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، كما في إرواء الغليل: للألباني: 174/4.

(2) السيوطي **الهمع**: ج 290/3.

(3) الإمام أحمد، **المسند**، 236/1. (الهام) : جمع هامة وهي الرأس، واسم طائر ليلي، كانوا يتشاءمون بها، وقيل: هي البومة، وهي ما يدب من الحشرات وأيضا هي كل ذات سُم يقتل. و (اللامة) : العين الحاسدة، والمصيبة بسوء والتي تلم بالإنسان وتؤذيه. ينظر: ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**: 4/ 272.

(4) السيوطي، نفسه، ج 290/3-291.

(5) ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ج 88/5.

(6) البيت نسبه الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله، **معاني القرآن، تح: أحمد يوسف النجاتي** (دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، دت): 75/2، والبغدادي في الخزانة (1979): 93/5 إلى أبي الغريب، وهو أعرابيٌّ له شعر قليل، أدرك الدولة الهاشمية- وورد بدون نسبة بعض كتب معاجم اللغة وتهذيب اللغة للزهري: (ز/ا/ج) ، واللسان والتاج (ز/و/ج).

(7) ابن مرزبان، محمد بن سهل، **كتاب الألفاظ الكتابة والتعبير** (دار البشير عمان 1991م تح: د حامد صادق قنيبي) : ص188.

2- التبادلات الصوتية في سورة الفاتحة:

1.2 التبادلات الصوتية بين الصوامت (الحروف):

ومن أمثلة التبادلات بين الصوامت في سورة الفاتحة:

1- **التبادل الصوتي بين الهمزة والهاء**؛ كالتبادل الواقع بين الجمهور في {إِيَّاكَ} بالهمزة وبين من قرأ {هِيَّاكَ} بالهاء بدل الهمزة.

2- **التبادل بين الهمزة والواو**؛ كالتبادل الواقع بين الجمهور في {إِيَّاكَ} بالهمزة وبين من قرأ {وِيَّاكَ} بالواو بدلا من الهمزة، لكن شكَّك أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن العجلي الرازي (ت454هـ)؛ هل قراءة {وِيَّاكَ} مرويٌّ عن القُرَّاء أم عن العرب؛ لأنّه جاء على عكس منهج العرب الذين يفرّون من الواو المكسورة إلى الهمزة؛ في نحو (إشاح) من (وشاح)؛ استثقالا للكسرة على الواو. وفي {وِيَّاكَ} فروا من الهمزة إلى الواو، وعلى لغة من يستثقل الهمزة جملة لما فيها من شبه التهوع(1) وبكون استفعل أيضا لموافقة تفاعل وفعل(2).

3- **التبادل الصوتي بين الصاد والسين**؛ ويعدّ هذا النوع من التبادل من أكثر التبادلات الصوتية الصامتة شيوعًا في كثير من لغات العالم؛ وهو عند العرب لونٌ من ألوان التقريب بين الأصوات ليتم التجانس والتماثل بينها؛ يقول سيبويه: "أبدلوا من موضع السين أشبه الحرف بالقاف ليكون العمل من وجه واحد، وهي الصاد، لأن الصاد تصعد إلى الحنك الأعلى للإطباق فشبهوا هذا بإبدالهم الطاء في مصطبر والدال في مزدجر"(3)، وحاول بعض علماء العرب إيجاد قاعدة قياسية لهذا التبادل الصوتي؛ يقول ابن جني: "وإذا كان بعد السين غين أو خاء أو قاف أو طاء

---

(1) التهوع هو الصوت الصادر عند تكلف الاستقاءة. ينظر: المناوي، أحمد عبد الرؤوف، **التوقيف على مهمات التعاريف** تح: د. محمد رضوان الداية (دار الفكر المعاصر، دار الفكر، بيروت، دمشق، الطبعة الأولى، 1410م) : ص212.

(2) ينظر: أبو حيان محمد بن يوسف ، **البحر المحيط**، تح: عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون (**دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413هـ- 1993م**): ج1/139-141.

(3) سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، **الكتاب**، تح: عبد السلام هارون (مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1408هـ 1988م) : 480/4.

جاز قلبها صادا وذلك قوله تعالى: {كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ}(1) و(يساقون يصاقون) و (سقر وصقر) و (سخَّر وصخر) (وأسبغ وأصبغ) و (سراط وصراط)"(2)؛ ومن نماذج ذلك في سورة الفاتحة: التبادل الصوتي بين الصاد في قراءة الجمهور: {الصراط المستقيم} وبين السين في قراءة قُنْبل {سراط}(3). وقد يقع في العربية عكس هذا الإبدال الصوتي؛ حيث روي عنهم قلب السين صادًا؛ صكت في قول سيبويه الآنف الذكر.

4- **التبادل الصوتي بين الصاد والزاي**، وهو مثل الأول في الشيوع في العربية؛ بحيث يقع التبادل بين الصاد والزاي في نحو: (التصدير) فقالوا: (التَّزديرُ) وكذلك في (الفَصد) قالوا: (الفَزْدُ) وفي (أصدرت) (ازْدَرْت) (4)؛ وهذا النوع من التبادل ناشئ من أسباب صوتية فحسب لتقريب الحرف من الحرف؛ يقول سيبويه: "وسمعنا العرب الفصحاء يجعلونها زايا خالصة كما جعلوا الإطباق ذاهباً في الإدغام؛ وذلك قولك: في (التصدير) (التزدير)...وإنما دعاهم إلى أن يقربوها ويبدلوها أن يكون عملهم من وجهٍ واحد وليستعملوا ألسنتهم في ضربٍ واحد إذ لم يصلوا إلى الإدغام "(5). ولتقعيد هذا النوع من التبادل يقول ابن السراج: " فإنْ كَانَ موضعُ الصادِ سيناً ساكنةً أُبدلَت فقلتَ في (التَّسدير): (التَّزديرُ) وفي (يُسدلُ ثَوبَهُ) : (يُزدلُ ثَوْبَهُ)؛ لأَنَّهُ ليسَ فِيها إطباقٌ"(6)؛ ومن نماذج ذلك في الفاتحة قراءة حمزة {زراط} بالزَّاي بدلا من الصاد في قراءة الجمهور(7).

---

(1) الأنفال: 6.

(2) ابن جني، ابو الفتح عثمان، **سر صناعة الإعراب**: 211/1-212.

(3) ينظر: القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، **الجامع لأحكام القرآن**، تح: هشام سمير البخاري، (دار عالم الكتب، الرياض، ط1، 1423 هـ/ 2003م): 267/14، أبو حيان، **البحر المحيط**: 245/7، وعلي محمد معوض، **اللباب في علوم الكتاب** (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 - 1419 هـ -1998م) : 449/7،

(4) ينظر: الكتاب: 478/4، وابن السراج، **الأصول في النحو**، تح عبد الحسين الفتلي (مؤسسة الرسالة، بيروت، **ط3**، **1417هـ-1996م**)، 429/3، وابن جني، الخصائص: 144/2، وابن سيدة، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي، **المخصص**، تح: إبراهيم الفجال، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1417هـ-1996م: 182/4.

(5) الكتاب: 478/4، وينظر والخصائص: 144/2.

(6)ابن السراج، **الأصول في النحو**، تح عبد الحسين الفتلي (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1417هـ-1996م). ج 430/3.

(7) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: 449/7،

5- التبادل الصوتي بين تشديد الصوت وتخفيفه؛ كما وقع بين قراءة من قرأ { **إِيَّاكَ نَعْبُدُ**} بتشديد الياء على وجه تكريرها عند الجمهور و{**إِيَاكَ**} بتخفيف الياء بناء على حذف إحدى الياءين لاستثقال التكرير(1).

2.2 التبادلات الصوتية بين الصوائت (الحركات):

من نماذج التبادلات في الحروف الصائتة (الحركات) في سورة الفاتحة:

1. **التبادل بين الضم والفتح**؛ كما هو:

أ. بين حركة الدال في {الحمدُ} بالضم و{الحمدَ} بالفتح.

ب. بين حركة الباء في {ربَّ} بالفتح و{ربُّ} بالرفع(2).

2. **التبادل بين الفتح والكسر**؛ كما هو:

أ. بين حركة اللام في {مَلِك} بكسر اللام وحركتها في {مَلَكَ} بفتحها؛ على القراءة المنسوبة إلى علي بن أبي طالب، والحسن بن أبي الحسن(3).

ب. ومنه كذلك التبادل الصوتي بين حركة الكاف في {مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} بكسر الكاف وبين حركتها في {مالِكَ يَوْمِ الدِّينِ} بفتح الكاف، على تقدير النداء حسب القراءة المنسوبة إلى ابن السميقع وعمر بن عبد العزيز والأعمش والآخرون(4).

---

(1) ونسبت القراءة إلى عَمْرُو بْنُ فَائِدٍ الْإِسْوَارِيُّ، ينظر: ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير، محمد بن محمد بن يوسف، **النشر في القراءات العشر**، تح: علي محمد الضباع (دار الكتاب العلمية، دت): 47/1.

(2) روي ذلك عن أبي زيد سعيد بن أوس الأنصاري؛ ينظر: ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**: 48/1.

(3) ينظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي [ت 700-774 هـ] تفسير القرآن العظيم تح: سامي بن محمد سلامة (دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، الثانية 1420هـ - 1999 م) : 133/1، وأبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، **اللباب في علوم الكتاب**، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 - 1419 هـ - 1998 م): 187/1، وابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** (دار الكتب العلمية - لبنان - 1413هـ. 1993م) : 69/1، والألوسي، محمود أبوالفضل، **روح المعاني للألوسي** (دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون) : 82/1.

(4) ابن الجرير الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، تح: أحمد محمد شاكر، **جامع البيان في تأويل القرآن** (مؤسسة الرسالة، ط1، **1420 هـ - 2000م**) : 148/1، وابن عطية، **المحرر الوجيز**: 69/1.

ج. بين حركة الهمزة في {إِيَّاكَ} بالكسر وبينها في {أَيَّاكَ} بفتح الهمزة(1).

د. بين حركة النون في {نَسْتَعِينُ} بالفتح عند الحجازيين، وهي قراءة الجمهور، وبين {نِسْتَعِينُ} بكسر النون؛ عند قيس وبني أسد وربيعة وبني تميم(2)؛ وهي من الظواهر الصوتية في اللهجات العربية سميتْ بـ"تلتلة بهراء"(3).

3. **التبادل بين الكسر والسكون**؛ كالتبادل الواقع بين حركة اللام في نطق {مَلِك} بكسر اللام عند جمهور العرب و{مَلْكِ} عند بكر بن وائل(4).

4. **التبادل بين الحركة (القصيرة) والمد**، كالتبادل بين حركة الميم في {مَلِكِ} بالمدّ وحركتها في {مَالِكِ}، وقد تحذف ألف المد خطًا من باب الاختصار، لكن تبقى ظاهرة في نطق به(5).

3.2 ظاهرة الإتباع في سورة الفاتحة:

1- {الحمدُ لُلّه} وهي قراءة إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي عَبْلَةَ، ففي هذه القراءة ضم لام الجرّ إتباعا لضمَّة الدال(6).

2- {الحمدِ لِلّه} وهي قراءة زيد بن علي والحسن البصري ورؤبة والْحَسَن الْبَصْرِيّ(7)؛ وفيها كُسِرَت حركة الدال هنا إتباعا لحركة لام الجرِّ؛ وقد أشار ابن جني إلى أن الأول أقوى؛ ثم شبه به الثاني؛ لأن "إتباع الثاني للأوّل – نحو مُدُّ وفِرِّ وضَنَّ – أكثر من إتباع الأوّل للثاني نحو: أُقْتُل . وإنما كان

---

(1) ينظر: وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 134/1، وابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**: 48/1.

(2) ينظر: المصدرين السابقين.

(3) وابن جني، الخصائص: 11/2، وابن جني، سر الصناعة: 230/1، والسيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، تح: محمد أحمد جاد المولى بك، والآخرون (دار التراث، القاهرة، ط3، دت) 211/1.

(4) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: 189/1، وروح المعاني للألوسي: 82/1.

(5) ينظر: محمد ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**: 74/1، والألوسي، **روح المعاني**: 1/ 82-83.

(6) محمد ابن الجزري **النشر في القراءات العشر**، 74/1، و د. فخر صالح قدارة، **أسرار العربية** (الطبعة الأولى، 1995 دار الجيل – بيروت) ص245، وأبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري، **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين**، تح: د. جودة مبروك محمد مبروك، (مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، دت) (المسألة 14) 104/1.

(7) محمد ابن الجزري **النشر في القراءات العشر**، ج 74/1، وابن جني، الخصائص: /441-145، وأسرار العربية: ص245، والإنصاف (المسألة 14) ج 104/1.

كذلك لأن تقدّم السبب أولى من تقدّم المسبَّب لأنهما يجريان مَجرى العِلَّة والمعلول"(1)، وقد أشار ابن الأنباري إلى الظاهرتين قائلا: "كسروا ما يجب بالقياس ضمه وضموا ما يجب بالقياس كسره للإتباع طلبا للمجانسة"، ولكن بعض العلماء مالوا إلى القول بأنَّ "فِيهِمَا بُعْدا فِي الْعَرَبِيَّةِ، وَمَجَازُهُمَا الإتِّبَاعُ"(2)، وأنكر بعض العلماء القراءتين على أنهما شاذتان في الاستعمال ضعيفتان في القياس(3).

---

(1) ابن جني **الخصائص**: 179/3.

(2) ومحمد ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**: 74/1.

(3) أبو البركات عبد الرحمن ابن محمد الأنباري، الإنصاف: ج 739/2.

3- الخاتمة

3-1 أهم النتائج:

من خلال هذه المقالة العلمية، استطاع البحث بتوفيق من الله الوصول إلى النتائج التالية:

1- أنّ مفهوم التبادلات الصوتية وصورها تحققت جميعها في النماذج المحللة من واقع سورة الفاتحة؛ ممّا يُقرّ أنّ القراءات القرآنية تُعدُّ البيئة المناسبة والمعطى الصادق للدراسات الصوتية؛ وبها تمثل نطق الأصوات بشكل صحيح، وتفسر الظواهر اللغوية بوجه متقَن؛ إذ هي ثابتة بالرواية عن العرب الفصحاء الموثوق بعربيتهم، ومتصل سنده بالنبي محمد (صلى الله عليه وسلم).

2- أن التبادلات الصوتية مرتبطة بعلم الأصوات التاريخي، ومبنية على مبدأ التسهيل النطقي؛ الذي تحقق في القراءات القرآنية عامّة وفي ظاهرة الاتباع في سورة الفاتحة بشكل أوضح؛ حيث ثبت فيها ذلك التوسع في النطق الناشئ من تعدد لهجات العرب.

3- أن التسهيل الناشئ من هذه التبادلات الصوتية شيء اعتباري، بحسب القيود الصوتية التي تلحظ عند النطق لدى كل قبيلة؛ كما وجدنا ذلك في التبادل الواقع بين الجمهور في {إِيَّاكَ} بالهمزة وبين من قرأ {وِيَّاكَ} بالواو بدلا من الهمزة؛ وهذه القراءة جاءت على عكس ما يجنح إليه بعض العرب في الفرار من نطق الواو المكسورة إلى الهمزة؛ في نحو (إشاح) بدلا من (وشاح)؛ استثقالا للكسرة على الواو. وفي {وِيَّاكَ} فرّوا من الهمزة إلى الواو؛ طلبا للخفة التي تعتبرها بعض العرب ثقلا.

3-2 التوصيات:

من خلال هذا البحث ندعوا إلى ضرورة:

1- تكثيف الجهود في مجال الدراسات الصوتية المنبثقة عن القراءات القرآنية.

2- صناعة ذكاء آلي حاسوبية (حوسبة اللغوية) للظواهر الصوتية من واقع القراءات القرآنية.

3-3 فهرس المصادر والمراجع:

أ- المراجع العربية:

1. إبراهيم أنيس، **الأصوات اللغوية** (مكتبة النهضة، مصر، دت).
2. إبراهيم أنيس، **من أسرار اللغة**، (مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط6، 1978م).
3. إبراهيم كايد محمود، **صوت الهاء في العربية** (مجلة جامعة أم القرى). العدد 24.
4. إبراهيم محمد نجا، **اللهجات العربية** (مطبعة السعادة ط1 1396هـ 1976م).
5. ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري **النهاية في غريب الحديث والأثر** تح: طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي، (المكتبة العلمية، بيروت، ط1399هـ - 1979م).
6. ابن الجرير الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، تح: أحمد محمد شاكر، **جامع البيان في تأويل القرآن** (مؤسسة الرسالة، ط1، **1420 هـ – 2000م**).
7. ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير، محمد بن محمد بن يوسف، النشر في القراءات العشر، تح: علي محمد الضباع (دار الكتاب العلمية، دت).
8. ابن الرشيق، أبو الحسن القيرواني، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، تح: محمد محي الدين عبدالحميد، (دار الجيل، بيروت، ط5، 1401هـ-1981م).
9. ابن السراج، **الأصول في النحو**، تح عبد الحسين الفتلي (مؤسسة الرسالة، بيروت، **ط3، 1417هـ–1996م**).
10. ابن جني أبو الفتح عثمان، **الخصائص**، تحقيق د. عبدا لحميد هنداوي، (دار الكتب العلية بيروت لبنان 1421هـ).
11. ابن جني أبو الفتح عثمان، **سر صناعة الإعراب**، تح د. حسن هنداوي (دار القلم، مشق، ط1، 1405هـ -1985م).
12. ابن سيدة، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي، **المخصص**، تح: إبراهيم الفجال، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1417هـ-1996م
13. ابن سينا، أبي علي الحسين بن عبد الله، **رسالة أسباب حدوث الحروف**، تحقيق محمد حسان الطيان، ويحي مير علم، (مطبوعات مجمع اللغة بدمشق).
14. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد

	المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (دار الكتب العلمية – لبنان – 1413هـ. 1993م).
15.	ابن فارس، أبو الحسين أحمد ابن فارس، **الإتباع والمزاوجة** تح: كمال مصطفى (مكتبة الخانجي، مصر، دت).
16.	ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس، **الصاحبي في فقه اللغة**، تحقيق أحمد حسن بسج، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ 1997م).
17.	ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي [ت 700-774 هـ] تفسير القرآن العظيم تح: سامي بن محمد سلامة (دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، الثانية 1420هـ - 1999 م).
18.	ابن مرزبان، محمد بن سهل، **كتاب الألفاظ الكتابة والتعبير** (دار البشير عمان 1991م تحقيق د حامد صادق قنيبي).
19.	ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري، **اللسان** (دار صادر، بيروت، ط1).
20.	ابن هشام، جمال الدين أبو محمد عبدالله بن يوسف بن هشام الأنصاري ، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، تح: د.مازن المبارك ومحمد علي حمد الله (دار الفكر ، بيروت، ط6 ، 1985).
21.	أبو البركات عبد الرحمن ابن محمد الأنباري، **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين**، تح: د. جودة مبروك محمد مبروك، (مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، دت).
22.	أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، تح: سمير جابر، (دار الفكر، بيروت، ط3 دت).
23.	أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، **اللباب في علوم الكتاب** تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 - 1419 هـ -1998 م).
24.	أبو حيان محمد بن يوسف ، **البحر المحيط**، تح: عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون (دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413هـ- 1993م).
25.	أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد (دار الكتب العلمية – لبنان – ط1، 1413هـ. 1993م).
26.	أحمد مختار عمر **دراسات الصوت اللغوي**: (ص طبعة عالم الكتب عام 1418_1997 القاهرة).
27.	الألوسي، محمود أبوالفضل، **روح المعاني للألوسي** (دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون).

28.	الإمام أحمد بن حنبل، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تح: شعيب أرنؤوط وآخرون (مؤسسة الرسالة، ط1، 1416هـ-1996م)
29.	البغدادي، عبد القادر بن عمر ، **خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب**، تح: عبد السلام هارون (الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط2 1979م).
30.	بودراع عبد الرحمان، **مصطلح اللفظ والمعنى ومستويات التحليل اللغوي عند عبد القاهر**، (مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، عدد 4: 335).
31.	الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل ، **فقه اللغة وأسرار العربية**، تح: ياسين الأيوبي (المكتبة العصرية، ط2، 1420هـ-2000م).
32.	خليل العطية، **في البحث الصوتي عند العرب**: (دار الجاحظ، بغداد، ط1983م).
33.	الخليل، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، **العين**، تح: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، ط دار الهلال، بغداد).
34.	دوكوري ماسيري، قواعد النحو الكلية (د. دوكوري ماسيري). ص [مخطوطة رسالة علمية في مكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة2008م].
35.	الراغب الأصفهاني، أبي القاسم الحسين بن محمّد، **المفردات في غريب القرآن**، تح: محمد سيد الكيلاني، دت).
36.	رمضان عبد التواب، **التطور اللغوي: مظاهره وعلله وقوانينه**، (مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، 1997م).
37.	رومان جاكبسون، **قضايا الشعرية** ترجمة: محمد الولي ومبارك حنون، (دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 1988).
38.	الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق (**اللامات**).، تح: د. مازن المبارك، (دار الفكر، دمشق، ط2، 1405هـ-1985م).
39.	سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، **الكتاب**، تح: عبد السلام هارون (مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1408هـ 1988م).
40.	السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، **الإتباع**، تحقيق كمال مصطفى (مكتبة الخانجي، دت).

41. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، تح: محمد أحمد جاد المولى بك، والآخرون (دار التراث، القاهرة، ط3، دت).
42. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، **الهمع**، (دار الكتب العلمية ط1، 1998).
43. الشُّمني، تقي الدين أحمد بن محمد، **المنصف من الكلام على مغني اللبيب** (المطبعة البهية، مصر، دت).
44. صبحي صالح، ، دراسات في فقه اللغة (دار العلم للملايين، بيروت، ط16، 2004).
45. طارق النعمان، **اللفظ والمعنى بين الإيديولوجيا والتأسيس المعرفي للعلم** (سينا للنشر، الطبعة الأولى. 1994م).
46. طرفة، **ديوان طرفة بن العبد** (دار الصادر للطباعة والنشر، ط1، 1380هـ-1961م).
47. عبد القادر عبد الجليل، **الأصوات اللغوية**، (دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان الأردن ط1 1418هـ. 1998م).
48. علي محمد معوض، **اللباب في علوم الكتاب** (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 - 1419 هـ -1998 م).
49. فخر صالح قدارة، **أسرار العربية** (الطبعة الأولى، 1995 دار الجيل، بيروت، دت).
50. الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله، معاني القرآن، تح: أحمد يوسف النجاتي (دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، دت)
51. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، **الجامع لأحكام القرآن**، تح: هشام سمير البخاري، (دار عالم الكتب، الرياض، ط1، 1423 هـ- 2003م).
52. كمال بشر، **علم الأصوات** (دار غريب، القاهرة، ط2000م).
53. محمد الحناش، **البنيوية في اللسانيات**، (دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط1، 1980م).
54. محمّد حسين علي الصّغير، **الصّوت اللغويّ في القرآن** (دار المؤرخ العربي، بيروت، دت).
55. المرادي، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ، **توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك**، تح: عبد الرحمن علي سليمان، (دار الفكر العربي، ط1، 1428هـ - 2008م).
56. مصطفى الحركات، **اللسانيات وقضايا العربية**، (المكتبة العصرية، صيدا – بيروت الطبعة الأولى

	1418هـ-1998م).
.57	المناوي، محمد عبد الرؤوف **التوقيف على مهمات التعاريف**، تح: د. محمد رضوان الداية (دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1410).
.58	النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل، **إعراب القرآن**، تح: زهير غازي زاهد (عالم الكتب، بيروت، ط3، 1409هـ- 1988).

ب- المراجع الأجنبية:

.59 Daniel Jones, **An outline of English phonetics**, W. Heffer Sons LTD Cambridge England 9Th 1972.

.60 John Clark **An introduction to phonetics and phonology** ,Blackwell Publishing 2007،

.61 Kenneth Lee Pike, **Phonetics**, U.S.A. 1967

.62 Ladefoged ،Peter Elements of Acoustic Phonetics, London ،1966 ،

.63 Martinet. A, **Elements de linguistiquegénérale**, Armand colin, 4em éditons, Masson, paris, frances 1999 .

.64 Saussure. Ferdinand, **Cours de Linguistique Générale**. Grande Bibliothèque, Payot, 1995.